مجلة دراسات دوليّة

اسم المقال: ترجمة مقال (تورط بوتين في سورية واغتنام اوباما للفرصة) للمؤلف ديفيد أف. جوردن
اسم الكاتب: سميرة ابراهيم عبد الرحمن
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/library/7124
تاريخ الاسترداد: 2026/04/13 18:10 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة دراسات دوليّة جامعة بغداد ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

تورط بوتين في سورية واغتنام اوباما للفرصة*

ديفيد أف. جوردن**

ترجمة: سميرة ابراهيم عبد الرحمن(***)

من العسير بمكان معرفة ما خلص اليه لقاء الرئيس الأميركي باراك اوباما مع نظيره الروسي فلاديمير بوتين.[١] فمن نافل القول ان الرئيسين لا يودان بعضهما البعض، وكان من الواضح انه ليس ثمة تلاقي للأفكار والرؤى حول السبيل لمعالجة الأزمة السورية وحلها.[٢] بيد انه بعد مدة من الزمن على ذلك اللقاء، شنت موسكو هجومها على سورية.[٣] وستواصل روسيا تواجدها العسكري هنالك، كما ستستمر أزمة اللاجئين الأوروبية في ان تتعمق؛ ولكن هل ستصبح سورية النقطة المحورية الجديدة في التوترات الأميركية . الروسية أم ثمة فرصة للتعاون على مضض؟

نشب الخلاف بين بوتين واوباما حول اوكرانيا منذ اوائل العام ٢٠١٤، عندما ضمت روسيا، في رد فعل على سقوط الرئيس الأوكراني المؤيد لروسيا فيكتور يانوكوفيتش، شبه جزيرة القرم وأطلقت العنان لحملة هدفها زعزعة استقرار جنوب شرق اوكرانيا. على اثر

(*)المقال منشور على موقع مجلة الفورين افيرز الأميركية (Foreign Affairs) في ٣٠ ايلول/سبتمبر ٢٠١٥.

(**)زميل مشارك رفيع المستوى في مركز الامن القومي الجديد. شغل سابقاً منصب مدير تخطيط السياسات في وزارة الخارجية الأميركية.

(***) مترجمة في مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية.

[1]http://www.nytimes.com/2015/09/30/opinion/thomas-friedman-syria-obama-and-putin.html?_r=0

[2]https://www.foreignaffairs.com/articles/syria/2015-09-29/putin-and-obama-go-head-head-0

[3] http://www.cnn.com/2015/09/30/politics/russia-syria-airstrikes-isis/

ذلك، فرضت الولايات المتحدة عقوبات اقتصادية على روسيا. وفي أوائل هذا الصيف***، بدى كما لو انه ثمة بصيص من أمل تحسن العلاقات حينما راح اوباما يمتدح الدور الروسي في المفاوضات النووية مع ايران، وحينما خففت موسكو، بدورها، من لغتها الخطابية المعادية لأميركا. إلاّ ان الجفوة عادت مرة أخرى حينما أرست روسيا لنفسها تواجداً عسكرياً في سورية، والذي فسرته الولايات المتحدة على انه استعداد لتدخل عسكري للدفاع عن الرئيس السوري بشار الأسد.[١]

يقول المسؤولون الروس ان اللغة الخطابية لبوتين بشأن التواجد الروسي في سورية ينبغي ان تؤخذ على علاتها ومثلما تبدو ولا تُحّمل ما لا تطيق وتقوى. إذ يدعي انه ثمة الآف الجهاديين من القوقاز الروسي والدول السوفيتية السابقة بآسيا الوسطى يقاتلون الآن في سورية مع ما سمت نفسها دولة إسلامية (ما يسمى بداعش). فمن وجهة نظر بوتين وايمانه، فانه من الأفضل قتالهم في سورية[٢] بدلاً عن قتالهم بالقرب جداً من الاراضي الروسية.

عليه، وفي خطابه الذي القاه في الأمم المتحدة، دعا بوتين "لتحالفٍ كبيرٍ" ضد داعش وسلط الضوء على الالتزام الروسي لتحدي داعش في معقلها السوري. ولكن ما هي المضامين التي تحملها، وما الذي ينقله التوقيت من معنى وتفسير اذا ما وضعنا في الحسبان ان الجماعة حققت انجازاتها الكبيرة في سورية والعراق منذ قرابة العام والنصف؟

بالنسبة لبوتين فان الوضع الحالي لروسيا يرسم ملامحه الضعف الاقتصادي[٣] والفرصة الجيوبوليتكية[٤] ويريد ان يستخدم الأخيرة لتخفيف وطأة الأولى. فالضعف الاقتصادي يحركه الهبوط الحاد بأسعار الطاقة، وعززته العقوبات الاقتصادية التي فرضتها

*** أي صيف ٢٠١٥. (المترجمة)

[1] https://www.foreignaffairs.com/articles/chechnya/2013-03-25/real-reason-putin-supports-assad

[2] https://www.foreignaffairs.com/articles/syria/2015-09-16/putins-damascus-steal

[3] https://www.foreignaffairs.com/articles/syria/2015-09-20/russias-desperate-measures

[4] https://www.foreignaffairs.com/articles/syria/2015-08-11/new-great-gam

الولايات المتحدة وأوروبا رداً على الهجوم الروسي على اوكرانيا. وتكمن الفرصة الجيوبوليتكية في إخفاق السياسة الأميركية وفق تقدم داعش أو ايجاد حل للحرب في سورية وما نجم عنه بعد ذلك من أزمة اللاجئين في أوروبا. وبطريقة انتهازية، يسعى بوتين الى دعم التأثير الروسي في الشرق الأوسط[1]، بينما يرسم، في الوقت نفسه، صورة الكرملين للعالم لا سيما في أوروبا على انه جزء رئيس من حل المشاكل.

مما لا ريب فيه ان ادارة اوباما محقة في قلقها من الدعم الروسي للأسد، ولكن ليس من المرجح لروسيا ان تضع في بالها دعماً عسكرياً مباشراً للرئيس المتحصن داخل سورية. وفي بحر شهور، انشغلت روسيا في رقصة دبلوماسية مع السعودية لإيجاد أرضية مشتركة لمعالجة الأزمة السورية. ولأن حملتهم العسكرية في اليمن منحتهم الجرأة، لم يكن السعوديون متحمسين بشأن أي مسعى دبلوماسي جديد يشمل الرئيس السوري. فالإستراتيجية الروسية لا تتمثل بإثارة نزاع بالوكالة أوسع ولكن تعجيل ما يراه بوتين الآن حلاً حتمياً متفاوض بشأنه، فقد بعث باشارة حاسمة الى السعودية وتركيا وقطر مؤداها ان أي مساعٍ عسكرية لتغيير النظام السوري ستكون عقيمة لا طائل منها. ولعل السياسة الروسية إزاء سورية لا تحظى بشعبية في الكثير من العواصم العربية، إلاّ ان رغبة روسيا في الدفاع عن حلفائها تلقى احتراماً وتقديراً.

وبنطاق أوسع، فان بوتين يستجيب، بطريقته الخاصة، لأمل اوباما ان تواصل روسيا دورها البنّاء في الشرق الأوسط من خلال عرض خدمة ان تكون الرابط الضروري بين تحالفين متصارعين يقاتلان داعش في المشرق العربي: تحالف تقوده الولايات المتحدة وتحالف بقيادة ايرانية، لا يستطيع أياً منهما النجاح دون الآخر.

والقصد من وراء مناورة بوتين في الشرق الأوسط هو الاستفادة من أزمة اللاجئين لتحويل الانتباه والانظار بعيداً عن اوكرانيا وتخلق الظروف التي تستطيع أوروبا بموجبها رفع

[1] **https://www.foreignaffairs.com/articles/russian-federation/2013-09-11/putin-scores-syria**

عقوباتها عن روسيا أو تخفيفها. اذ تعلم روسيا ان أزمة اللاجئين[1] كانت وما انفكت تحدياً امام التماسك السياسي في الاتحاد الأوروبي. في جزء منه ان المانيا وفرنسا والمملكة المتحدة أيدت العقوبات ضد روسيا في العام ٢٠١٤ لاظهار الوحدة والتماسك مع حكومات دول شرق أوروبا التي ترفض الآن مشاطرتها تحمل اعباء استيعاب اللاجئين. في تلك الاثناء، لم يجد بوتين صعوبة في اقناع بعض دول جنوب أوروبا لاسيما ايطاليا بان روسيا يجب ان تعامل بوصفها شريكاً وليس كدولة منبوذة. في الشهر الفائت، أظهرت روسيا مرونة في المفاوضات التي تقودها المانيا التي اثمرت وقفاً جديداً لاطلاق النار بين روسيا واوكرانيا وضمن بوتين ان يستمر وقف اطلاق النار الى حد كبير.

عليه، جاء بوتين الى نيويورك معتقداً انه يتمتع بموقف قوي (في الحقيقة هو السبب الوحيد لمجيئه[2]). بعد كل هذا، تبدو الآن اهداف اوباما في سورية[3] المتمثلة في دحر داعش والحاق الهزيمة بها، وايجاد تسوية سياسية ممكن تحقيقها والإطاحة بالأسد أقل إمكانية للتحقق من آي وقت خلى. ونظراً لتردد واشنطن في مزيدٍ من التورط في نزاعات الشرق الأوسط، كان بوتين يأمل ان افعاله لعلها تجبر الولايات المتحدة على التركيز على أولوياته.

ولكن عدم ثقة اوباما ببوتين تتعمق ولم يكن على وشك قبول الرواية الروسية الجديدة بصورتها الظاهرية. ولم يكن لقاء البارحة* إلاّ الجولة الأولى في ما يبشر ان يكون لعبة طويلة. بالنسبة للخطوات القادمة البناءة المحتملة، فان لقاء بوتين الأسبوع المنصرم** في موسكو مع رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نيتنياهو لعله يكون مبشراً، اذ عاد نيتناهو (بيبي) الى إسرائيل باتفاقات على اجراءات عدم الدخول في نزاعٍ مع قوات البلدين في سورية وإبقاء

[1] https://www.foreignaffairs.com/articles/central-europe/2015-09-27/self-interested-approach-migration-crises
[2] https://www.foreignaffairs.com/articles/russian-federation/2013-09-15/playing-poker-putin
[3] https://www.foreignaffairs.com/regions/syria

* ٢٩ ايلول/سبتمبر ٢٠١٥. (المترجمة)
** ٢١ ايلول/سبتمبر ٢٠١٥. (المترجمة)

الأسلحة الروسية بعيداً عن ايدي قوات حزب الله. قد تكون الاتفاقات الروسية ـ الإسرائيلية أنموذجاً لما يمكن ان تؤول اليه الترتيبات الأميركية ـ الروسية فيما بعد.

بعيداً عن ذلك يواجه اوباما معضلة، اذ تذهب الحملة ضد داعش التي تقودها أميركا الى طريقٍ مسدودٍ سريعاً. عليه، يستحق الامر استكشاف الى أي مدى يمكن لتدخل موسكو العسكري ان يضعف الجماعة المتطرفة. وعلى اوباما ان يكون منفتحاً للعمل مع موسكو بشأن مقترحات دبلوماسية جديدة لإنهاء الحرب السورية. بيد انه سيكون محقاً ان أوضح ان الولايات المتحدة ستفعل هذا فقط في حال اقتصرت موسكو استخدامها للقوة على الحملة ضد داعش. عند هذه النقطة، على الأرجح ان يحتاج كلا الجانبين تفادي التعامل مع قضية الأسد مباشرة اذا ما اريد ايجاد سبيل دبلوماسي بنّاء.

الانهيار السعودي والقلق الأميركي*

جون هانا[1]

ترجمة: سميرة ابراهيم عبد الرحمن(**)

كما لو انه ليس ثمة الكثير من المشاكل التي تثير القلق في الشرق الأوسط، لتأتي السعودية وتكون هي الأخرى مقبلة على مشكلة. فمن هبوط أسعار النفط الى عثرات السياسة الخارجية التي تفضي الى زيادة التوترات مع إيران، يلتئم عقد الاحداث الأخيرة ليطرح بعض التحديات الخطيرة امام النظام السعودي. وفي حال لم يتم التعاطي معها تعاطياً ملائماً فان هذه الاحداث قد تتجمع وتلتقي، في نهاية المطاف، مع بعضها البعض لتشكل عاصفة تزيد من خطر عدم الاستقرار داخل المملكة مع ما تحمله من آثار، لا حصر لها، على أسواق النفط العالمية والأمن في الشرق الأوسط.

وهنا بعض المشاكل الناشطة والمؤثرة التي قد ترمي بالسعودية في آتون حالة من الفوضى:

(*)المقال منشور على موقع مجلة الفورين بوليسي الأميركية على شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) في ٧ تشرين الأول/أكتوبر ٢٠١٥.

[1] خبير سياسي في "مؤسسة الدفاع عن الديموقراطيات". (المترجمة).

(**) مترجمة في مركز الدارسات الاستراتيجية والدلية.

تصدعات داخل العائلة المالكة

نشرت صحيفة الغارديان البريطانية الاسبوع الفائت[1] رسالتين[2] لأمير سعودي مجهول[3] (لم يتم الافصاح عن اسمه) وزعها مؤخراً بين أعضاء كبار في العائلة المالكة[4] تدعوهم الى القيام بانقلاب داخل القصر ضد الملك سلمان. وتدعي الرسالتان ان الملك سلمان الذي وصل الى العرش في كانون الثاني/ يناير ٢٠١٥ ونجله القوي الذي البالغ من العمر ثلاثين عاماً، ولي ولي العهد، محمد بن سلمان[5]، قد انتهجا سياسات خطرة افضت بالبلد الى خراب سياسي واقتصادي وعسكري.[6] وفي مقابلة مع صحيفة الغارديان، اصر الأمير على ان مطلبه للتغيير في القيادة لم ينل دعماً متزايداً داخل العائلة الملكية فحسب بل وعند نطاق أوسع من المجتمع السعودي. وأدعى "ان العامة تدفع أيضاً باتجاه هذا الامر بقوة." "يقولون

[1] نُشر المقال في صحيفة الغارديان البريطانية في ٢٨ ايلول/سبتمبر ٢٠١٥.

[2] حملت الرسالة الأولى، والتي كتبت في الرابع من ايلول/ سبتمبر عام ٢٠١٥ ، وهي من اربع صفحات، عنوان "نذير عاجل لكل آل سعود"، أكد صحتها الأمير سعود بن سيف النصر، حفيد الملك سعود بن عبد العزيز ملك السعودية الأسبق عبر حسابه بتويتر، في حين كانت الثانية المنشورة في ١٥ ايلول/سبتمبر ٢٠١٥ متممة للرسالة الأولى ومفسرة لبعض النقاط التي جاءت فيها.

وتحدثت الرسالة الأولى عن تهميش أبناء الملك عبد العزيز، والانحراف عن الأسس والمبادئ التي وضعها في بناء الدولة السعودية الثالثة، وطالب الـ ١٣ من أولاد الملك عبد العزيز الذين مازالوا على قيد الحياة، بالتحرك وإنقاذ الوضع. (المترجمة)

[3] أحد أحفاد الملك المؤسس عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود. (المترجمة نقلاً عن عدة مواقع على الانترنت)

[4] ((...أخاطبكم بإخلاص الإمام محمد بن سعود وإصرار الإمام فيصل بن تركي ومنهجية الملك عبد العزيز وخيرية سعود ودهاء فيصل و تديّن خالد وموازنة فهد و عقل نايف، بعيداً عن حُمْقِ عبد الله و سرقات سلطان و عجز سلمان.)) (المترجمة، عن الرسالة الأولى المعنونة "نذير عاجل لكل آل سعود")

[5] كما انه يشغل منصب رئيس مجلس الشؤون الاقتصادية والتنمية. (المترجمة)

[6] ((... والقيام بعزل الثلاثة الملك العاجز سلمان بن العزيز، والمُفَرّطْ المستعجل المغرور ولى العهد الأمير محمد بن نايف، والسارق الفاسد المُدَمّرْ للوطن ولي ولي العهد الأمير محمد بن سلمان، ليتولى الأصلح والأكبر إدارة شؤون البلاد و العباد.)) (المترجمة، عن الرسالة الأولى المعنونة "نذير عاجل لكل آل سعود")

يجب ان يتم ذلك أو ان يهوى البلد وينزلق نحو كارثة." وتمت مشاركة المقال[١] الذي يتضمن الرسالتين المكتوبتين بالعربية أكثر من خمسة عشر الف مرة.[٢]

حرب اليمن

كلما طال أمد الحرب، كلما ازداد خطر ان يصبح التدخل السعودي ضد المتمردين الحوثيين مصدراً خطيراً لفتنة داخلية. ونقلت الغارديان في معرض مقالها عن رسالتي الأمير السعودي "بان الكثير من السعوديين سئموا منظر ضرب البلد الأغنى في العالم العربي الأفقر فيه." ويلقى لوم خاص على كاهل الأمير مُحَّد بن سلمان، وزير الدفاع في المملكة والقوة المحركة لمسعى الحرب. وأتُهم الأمير مُحَّد بن سلمان الملقب بصفة غير رسمية بـ "المتهور" باندفاعه في الدخول الى اليمن دون استراتيجية واضحة أو خطة خروج، الامر الذي نجم عنه تزايد الخسائر في الارواح والاموال واتساع الأزمة الانسانية وتصاعد وتيرة الانتقادات الدولية.

المشاكل الاقتصادية

هبطت أسعار النفط، وهو ما يلقى بمسؤوليته جزئياً على السياسة السعودية، الى أكثر من ٥٠% عن السنة الماضية. ولأنها تواجه اشباع[٣] السوق بسبب انتعاش[٤] النفط الأميركي، كان على السعودية الإبقاء على انتاج عالي وان تحارب من اجل حصتها في السوق.

[١] يقصد مشاركة المقال الذي نشرته صحيفة الغارديان البريطانية الموسوم (Saudi Royal Calls for Regime Change in Riyadh) عبر وسائل التواصل الاجتماعي مثل التويتر والفيسبوك وغيرها. (المترجمة)

[٢] إن نشر هاتين الرسالتين في حد ذاته يُعد حدثاً استثنائياً في السياسة السعودية، إذ ثمة دستور غير مكتوب يفرض أن يكون التوافق، والتوصل إلى حلٍ للخلافات، داخل الأسرة وخلف الأبواب المغلقة. (المترجمة نقلاً عن http://mandabpress.com/story/2015-12-11/22524)

[٣] تعني إغراق السوق بكميات من النفط تزيد على طاقة استهلاكه واستيعابه في الوقت الحاضر. (المترجمة)

[٤] زيادة سريعة في حجم انتاج النفط يصاحبه في العادة تضخم في الأسعار وزيادة في الإقبال على الشراء. ويختلف الانتعاش عن الازدهار في ان الأول ظاهرة نفسية تمثل توسعاً في حركة ونشاط الانتاج والاستهلاك، لا في الحجم الفعلي للانتاج والاستهلاك، بينما يمثل الازدهار الزيادة الحقيقية التي تتحقق في الانتاج والدخل القوميين. (المترجمة نقلا عن معجم مصطلحات الاقتصاد والمال وادارة الاعمال، ط ١٩٨٥)

وتقف متفرجة امام تراجع الأسعار منتظرة ان ينسحب منتجي الكلفة الأعلى من سوق الاعمال التجارية. ومع الزيادة في النفط الأرخص الأمر الذي زاد من الطلب وخفض فائض العرض فان النظرية كان مؤداها ان تعود الأسعار الأعلى الى وضعها الطبيعي قبل ان تشعر المملكة بأي ضيق اقتصادي.

لكن الامر لم يتحقق تماماً، على الأقل ليس بالسرعة التي توقعها السعوديون. في الحقيقة، وضعت ميزانية السعودية للعام ٢٠١٥ على أساس أن يُباع النفط بسعر ٩٠ دولار للبرميل. اليوم، فانه اقرب الى نصف ذلك. في الوقت عينه، تعرض السعوديون الى مجموعة من النفقات الطارئة والتي لم يكن مخطط لها، منها تلك التي رافقت اعتلاء الملك سلمان العرش (إذ ان تأمين الولاء لملك جديد يمكن ان يكون مكلفاً) كذلك الحرب في اليمن.

والنتيجة ان عجزاً في الميزانية وصل الى ما يناهز ٢٠%، أي ما يربو على مئة مليار دولار أميركي، مما جعل السعوديين يستنفذون احتياطهم من التبادل الخارجي بنسبة قياسية (ما يناهز ١٢ مليار دولار في الشهر) بينما في الوقت نفسه راحوا يُعّجلون في بيع السندات. كما حول السعوديون الى سيولة ما يزيد على ٧٠ مليار دولار من أصول شركاتهم العالمية القابضة في بحر الأشهر الستة المنصرمة.

وبينما ليس ثمة خطر من ان تبدد المملكة اموالها قريباً، فانه كلما طال هذا الأتجاه المتمثل بعجز الميزانية الكبير وأسعار النفط الهابطة، واستمرار تراجع احتياطي التبادل الخارجي، كلما أصبحت الأسواق الدولية أكثر توتراً .. مع آثارٍ واسقاطاتٍ محتملة على مؤشرات رئيسة مثل التصنيف الائتماني[1] وسحب (هروب) رؤوس الأموال. علاوة على القلق طويل الآمد الذي مفاده ان صادرات النفط الخام السعودي كانت وما أنفكت في تراجع بطيء في بحر سنوات ما دام يرتفع الاستهلاك الداخلي للطاقة ارتفاعاً دراماتيكياَ. في الحقيقة،

[1] التصنيف الائتماني أو الجدارة الائتمانية هي درجة تُظهر حكم وكالات التصنيف الائتماني العالمية على مدى قدرة دولة أو مؤسسة ما على سداد ديونها. فمعنى تصنيف ضعيف أن ثمة احتمالاً بالا يستطيع المدين الوفاء بالتزاماته؛ أما التصنيف المرتفع فيعني استبعاد الاحتمال. ويُسهل التصنيف المرتفع على الحكومات والشركات الحصول على تمويل وقروض سواء من الأسواق الداخلية أو الخارجية. (المترجمة، نقلاً عن عدة مواقع على الانترنت)

يقترح المحللون الان بان الطلب المحلي الآخذ بالاتساع سريعاً سيُصيّر المملكة مستورداً صافياً للنفط بحلول ثلاثينيات القرن الواحد والعشرين. وغني عن القول ان مثل هكذا تطور يطرح تهديداً مفاده أفول نجم المملكة وهلاكها، في حين ان مبيعات النفط تبقى تشكل ٨٠% الى ٩٠% من عائدات الدولة.

ان محاربة العجز من خلال تقليص النفقات وفرض التقشف لا يبدو خياراً جذاباً لحكومةٍ كان سلاحها الرئيس لمواجهة السخط الشعبي منذ ثورات الربيع العربي ٢٠١١ هو إمطار الشعب واغراقه بمزيدٍ مما هو مجاني. فقد بلغت اعانات الطاقة لوحدها ما يناهز ٢٠% من اجمالي الناتج المحلي. وثمة اعانات واسعة للغذاء والاسكان والمياه ولنطاق واسع من البضائع الاستهلاكية... وما دام يفكرون ملياً في مجازفة الاصلاح، فانه يمكن التأكد بان السعوديين مدركين تماماً للدور الذي لعبته الزيادات الحادة في تكلفة المعيشة في قدح شرارة الثورات عبر الشرق الأوسط منها تونس ومصر واليمن.

وعلى رأس المشاكل المالية المتنامية، استمرت حزمة من اعباءٍ وهمومٍ اخرى تثقل كاهل اقتصاد المملكة. إذ يشكل السعوديون تحت سن الثلاثين ثلثي السكان ولا يملك ما يقارب ٣٠% منهم وظائف. وبينما يكون من العسير بمكان الحصول على ارقام، فان ثمة تقارير تتحدث عن نسب فقر عالية وملفتة للنظر تنتشر بين صفوف السعوديين، مقترحة ان تصل النسبة الى ما يزيد على ٢٥%.

مأساة الحج

ان الكارثتين الرئيستين اللتان عكرتا أجواء الحج الى مكة هذا العام (٢٠١٥) كانتا انهيار الرافعة[١] التي قتلت ما يربو على مئة شخص، تبعها التدافع[٢] الذي خلف على الأقل ٧٦٩ قتيل مع وجود الكثير من الارقام غير الرسمية التي تؤكد ان الرقم الحقيقي للمتدافعين

[١] حادثة سقوط الرافعة الضخمة على المسجد الحرام في مشروع توسعته. (المترجمة)

[٢] يقصد حادث التدافع بمشعر مِنى وهي كارثة تُعد الأسوء لمواسم الحج منذ ٢٥ عاماً. (المترجمة)

يمكن ان يصل أخيراً الى الآلآف.[1] في اعقاب ذلك، واجه السعوديون موجة غير مسبوقة من الانتقادات حول ادارتهم للحج. في الحقيقة، ان ادارة الحج عمل على قدر كبير من الجدية. ففي واقع الحال، يقع اشراف آل سعود على المواقع الاسلامية المقدسة في لب مزاعمهم إدارة البلاد وجوهرها. فالتشكيك بأهلية العائلة المالكة للعمل كراعية وقيّمة على مكة والمدينة (الحرمين الشريفين) يعني التشكيك بالشرعية السياسية والدينية للعائلة الحاكمة نفسها.[2]

تصعيد النزاع مع ايران

انتهزت ايران مأساة الحج بوجه خاص لترفع من وتيرة التوترات مع السعوديين الملتهبة أصلاً بسبب البرنامج النووي ونشاطات ايران التي تثير عدم الاستقرار في ارجاء المنطقة. ويبدو ان اعداد الإيرانيين المتوفين جراء التدافع هي أكثر من أية قومية اخرى، اذ يبلغ العدد على الأقل ٤٦٤ قتيل، والعدد ما أنفك قابل للزيادة. ولما كانت المملكة بطيئة في إعادة جثامين القتلى الى ديارهم، بدأ المسؤولون الإيرانيون هجومهم. فراح القائد الأعلى لايران آية الله خامئني يحذر السعوديين بانهم قد يواجهون "رد فعل وحشي وعنيف" اذا ما "اظهروا عدم الاحترام الأدنى للحجاج الإيرانيين." وقال خامئني ان ايران قد اظهرت ضبطاً للنفس كبير في مواجهة الاساءات السعودية "، ولكن عليهم ان يعرفوا بان يد ايران هي الطولى وتتفوق على الكثيرين وان لها الكثير من القدرات". وخلص الى انه "اذا ما ارادت [ايران] ان ترد على العناصر المُفسد والفاسدة، فان وضع [السعودية] لن يكون بخير." ودلى بعده وزير الدفاع الإيراني السابق القائد في الحرس الثوري الإيراني مصطفى مُحَمَّد نجار بدلوه بقوله ان على السعوديين ان يأخذوا تحذير خامئني "على محمل الجد" لأن ايران قادرة على الرد رداً "قوياً وساحقاً" على ما يرتكبه السعوديون من اخطاء.

[1] يقصد اصابة ٨٦٣ اخرين. (المترجمة)

[2] وجود الحرمين الشريفين داخل حدود المملكة السعودية منح النظام السعودي النفوذ المعنوي. (المترجمة)

ودعى حسن نصر الله زعيم حزب الله الى ان يُصادر من السعوديين إدارة الحج (على سبيل التغريم) واحالته الى لجنة من المسلمين.[1] واتهم قائد مجلس الامن القومي الأعلى في إيران، علي شمخاني انه "بعد (الدولة الإسلامية)، تطرح السعودية الضرر الأكبر على الإسلام." وزعم علي فيصلي النائب السابق لقائد قوات الامن الداخلي الإيراني، الباسيج، بان دعم المملكة للدولة الاسلامية والتنظيمات السُنية المتطرفة كان له الاثر في كارثة مكة. وعبر عن أمله، حينما تحدث عن الاحتفال الديني الشيعي القادم بقوله " يوماً ما مع سقوط (بيت) آل سعود سنكون قادرين على الاحتفال بعيد الغدير بموقعه الحقيقي"، قاصداً، بالطبع، مكة.

وبعيداً عن مأساة الحج، يبدو ان ايران تصعد من تحديها للمصالح السعودية في مواقع أخرى كذلك. ففي الثلاثين من ايلول/ سبتمبر(٢٠١٥) اعلنت المملكة انها القت القبض على مركب صيد إيراني محمل بالاسلحة في طريقه الى المتمردين الحوثيين الذين يقاتلون التحالف السعودي في اليمن لتزويدهم بالمدد. في اليوم التالي، قالت البحرين جارة المملكة وحليفتها القريبة انها كشفت النقاب عن معمل لصنع القنابل على صلة وثيقة بعناصر الحرس الثوري الإسلامي الإيراني. وعلى الفور، سحبت البحرين سفيرها من طهران واعلنت ان كبير مبعوثي ايران شخص غير مرغوب به " في ضوء التدخل الإيراني المستمر في شؤون مملكة البحرين.... بغية خلق صراع طائفي ولغرض ان تبسط إيران هيمنتها." في اليوم التالي، ثأرت إيران لنفسها بان طردت القائم بالاعمال البحريني.

ومما لاشك فيه ان سورية شهدت منذ عدة اسابيع خلت ظهور التحالف الإيراني ـ الروسي لابقاء نظام الأسد في السلطة، ومحاربة المتمردين الذين تدعمهم المملكة (السعودية). وبالتزامن مع بداية حملة القصف التي تشنها الطائرات الحربية الروسية، ارسلت ايران ،مثلما

[1] واجهت السعودية انتقادات دولية واسعة بسبب "سوء ادارتها لملف الحج" مع دعوات لتحويل ادارة الحج الى منظمة التعاون الاسلامي. (المترجمة)

يُزعم، المزيد من قواتها والتي تُقدر بالمئات الى سورية للمساعدة في قيادة هجوم بري جديد لاستعادة اراضٍ سيطرت عليها قوات يدعمها السعوديون.

الخَنْدَقَة الأميركية

مَثّل التدخل الدراماتيكي الروسي في سورية تهديداً، أوسع بكثير، يُقلق الآن المملكة: الحقيقة الواضحة هي ان أميركا تتخلى عن دورها التقليدي بوصفها ضامنة لاستقرار الشرق الأوسط. ومن نافل القول ان هذه اخبار مؤسفة للسعوديين الذين ارتبط بقاءهم لمدة سبعين عاماً بمساندة أميركا لهم. الآن، يبدو ان النظام الذي كانت تدافع عنه الولايات المتحدة ينفرط عقده امام أعينها. وعوضاً عن ذلك، فان الواقع الطبيعي الجديد هو ان واشنطن تتجاهل اتفاقات دبلوماسية الامر الذي يُجرئ عدو المملكة الأسوء في إيران، في وقت تحتج فيه بخنوع وهي ترى روسيا منافسها الجيوبوليتكي الرئيس، يسعى سعيه الحثيث لتغيير توازن القوى في المنطقة. ومما لا ريب فيه، ومثلما ان الليل سابق النهار، سيترك، حتماً، التراجع السريع للقوة الأميركية وموثوقيتها، السعودية مكشوفة ومعرضة للخطر بشكل متزايد.

ولن يكسب من يراهن على زوال آل سعود قريباً. ففي بحر عقود من الزمان، اظهروا انهم قوة تدق اسفين بقاءها بقوة بوجه الأحداث السياسية والإيديولوجية والعسكرية التي ازاحت أنظمة أقل منها شأناً. عليه، فالقول بان العائلة المالكة الآن تكون على شفا مشكلة حقيقية هو تفكيرٌ ساذجٌ.

الذي ينبغي قوله ان المخاطر يتحتم ان تؤخذ على محمل الجد. فالبيئة الإقليمية التي تواجهها المملكة لعله لم يسبق لها مثيل فيما تحمله من عداء. فالشرق الأوسط ينهار، ونظام الدولة فيه في حالة سقوط حر. وانقلب الربيع العربي منذ آمد طويل خلى الى شتاءٍ اسلامي.كما يجمع محور عسكري ايراني ـ روسي متعطش للهيمنة، وأسعار النفط المرتفعة فلوله على ابواب السعودية. من المفيد القول ان أميركا الأن بصدد الخروج غير مخلفة وراءها إلاّ حلفاء ضعفاء معنوياً، وخصوم امتلكوا الجرأة، والفوضى.

في الوقت عينه، ومثلما ذُكر أنفاً، تستمر التحديات التي تُحْدِق بالمملكة داخلياً ببطئ في ان تتعاظم. فلنستحضر أي قائمة تحمل اشارات التحذير بان أي مجتمعٍ ربما يقترب الآن من منطقة الخطر فيما يخص عدم الاستقرار ونقارنها مع ما يحدث الآن في السعودية، سنجد تزايد في الانشقاقات بين النخبة؛ والوقوع في مستنقع حرب خارجية مكلفة؛ وتزايد الضغط الاقتصادي؛ وعلامات تآكل الشرعية؛ وتصاعد قوة الفاعلين الخارجين المعادين وتراجع قوة الحُماة الخارجيين التقليديين .

ومما لا ريب فيه، ان لم يكن مستحيلاً تعين أياً من هذه العوامل سيكون قاب قوسين أو أدنى من ان يغدو نقطة انقلاب للسعوديين. مرة أخرى، وإذا ما كان التاريخ دليلنا ومرشدنا فان هذه الدلائل ليس من المحتمل ان تكون كذلك. فما زلنا في مراحل مبكرة إذ يمكن إدارة كل شيء عبر عملية اتخاذ قرارات حكيمة وفي التوقيت المناسب.

ما يبدو أمناً قوله ان معظم المؤشرات الرئيسة تبدو الآن في انها تتجه معاً وفي وقت واحد في الاتجاه الخاطئ -.. وربما للمرة الأولى في تاريخها. بهذا المعنى، لعله ثمة مخاطرة أكبر مما في الماضي، اذا ما تركت هذه المؤشرات دون ان تُولى عناية واهتماماً، فان هذه الاتجاهات السلبية قد يلتئم شملها وتتساقط كالشلال بسبلٍ يمكن ان تقهر النظام السعودي وتسحقه.

من الصحيح القول ان مخاطر ان يحدث الأسوء ربما تكون متدنية، ولكن آثار واسقاطات انتشار عدم الاستقرار في المملكة من المحتمل ان تكون ضارة بالمصالح الأميركية بحيث يجب بكل حال من الأحوال ان تُولي هذه المخاطر اهتماماً. وبالقدر الذي تكون فيه الأمور الان سيئة في المنطقة، فان أي انهيار في السعودية قد يجعل من الأزمة الحالية تبدو شيئاً لا يُذكر اذا ما تم عقد مقارنة.

وبينما تكون الولايات المتحدة مقيدة بشدة فيما يتعلق بما يمكن فعله في الآمد القصير لمساعدة المملكة في مواجهة التحديات المتصاعدة وتيرتها داخلياً، إلاّ انه ما زال لديها القدرة على تهدئة بعض التهديدات والضغوطات الخارجية الناشئة التي تواجه السعودية. ومما لا ريب فيه ان للولايات المتحدة ميزة نسبية: وهي القدرة على تطمين شركاءها

الإستراتيجيين الرئيسين بالتزام الولايات المتحدة بأمنهم وعزمها وتصميمها على المحافظة على علاقة اقليمية من القوى التي تصطف في صف الولايات المتحدة وأصدقائها في وقت تردع فيه خصومهم المشتركين.

ولكن هذا، بالضبط، هو الدور التي أخفقت فيه إدارة اوباما إخفاقاً كارثياً أو على نحو أكثر دقة، رفضت انجازه في بحر السنوات العدة الماضية في عملية افضت الى تقويض معنويات الأصدقاء الضعفاء أصلاً وثقتهم؛ في الوقت عينه، يشحذ مطامح أعدائهم الاسوء وعدائيتهم.

والتساؤل المطروح اذا ما تكون ادارة اوباما قادرة الآن على التعافي من الفوضى الجيوبوليتيكية التي أشعلت فتيلها وقرعت لها الطبول. هل لديها الحل والمفتاح لسلسلة الاحداث المثيرة لعدم الاستقرار بشكل كارثي التي اطلقت لها العنان بقرارها المقصود وضع علامة "مغلق للأعمال التجارية" على حلفاء أميركا في الشرق الأوسط؟ وهل أدركت أخيراً ان ما سيحل محل التخلي عن القيادة الأميركية في المنطقة هو ليس نوعاً من التوازن الفعال (الفاضل) للقوى بين المتنافسين المحليين، ولكنه يعُجل مستويات العنف والتطرف والفوضى؟ وهل لديها ادنى فكرة عن المهمة الشاقة لإعادة بناء الشراكات الإستراتيجية التي قوضتها سياساتها تقويضاً سيئاً ووقف تسونامي الاضطراب الذي يهدد الأن بإغراق المنطقة والمصالح الأميركية؟

للأسف، ليس ثمة سبب على الاطلاق للاعتقاد بان الجواب على هذه الاسئلة هو الايجاب. بأي حال، ستستمر المخاطر في التصعيد وعلى رأسها الكوارث الاخرى التي سيورثها الرئيس اوباما لخليفته، ولعله سيضيف عليها واحدة اخرى: وضع غير مستقر في السعودية، المصدر الأكبر للنفط في العالم وموقع لأكثر البقاع قدسية في الاسلام، على نحو متزايد ومحفوف بالمخاطر ـ وبلد مغمور، على قدم المساواة، بالاسلحة الأميركية المتطورة والوهابيين الغاضبين.